

مكاسب الحديدية

﴿ قُلْ يَتَاهِلَ الْكُتُبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَّامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [٦٤]

[سورة آل عمران: آية: ٦٤]

﴿ فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [١١٢]

[سورة البقرة: آية: ١٩٢]

\*\*\*



«أرض جهينة بين العيص وذى المروة، مما يلي سيف البحر، على مقربة من ساحل البحر الأحمر، فيما يقابل المنطقة بين مكة والمدينة، وليس ببعيد عن طريق قريش إلى مكة.. أبو بصير عتبة بن أسيد بن حارثة، وقد اتخذ لنفسه وأصحابه الخمسة مقامًا أوى إليه فرارًا بدينه من ملاحقة ونكال طواغيت قريش، ورفعًا للحرج عن المسلمين ونبي الله أن يخلوا بشرط صلح الحديبية ويقبلوا هجرته إليهم بعد أن أسلم.. ما إن يشيع بين من أسلم من ضعفاء مكة خبر مقام أبي بصير بسيف البحر، حتى يتسربوا واحدًا وراء الآخر للحاق به حيث يعسكر وصحبه.. لا يجدون عن ذلك بديلاً بعد أن عرفوا أن رسول الله ﷺ يحترم تعهده الذى قطعه لقريش بالحديبية..»

«تمضى الأيام بأبى بصير وصحبه فى مقامهم، فيزداد اطمئنان ضعفاء المسلمين بمكة إلى «الأمان» بسيف البحر، يزداد تسللهم من مكة تباعاً، وينقلت فيمن انفلتوا من مكة: أبو جندل بن سهيل بن عمرو، يخرج فى نحو سبعين اهتدوا وأسلموا، فيلحقوا بأبى بصير بسيف البحر.. تتزايد أعداد هؤلاء اللاتئذين بساحل البحر حتى زادت على ثلاثمائة - فصاروا شوكة فى جنب قوافل قريش على طريق الشام، يتناقل الناس أخبارهم، وتروى حكايات بطولاتهم ظمًا

المتشوقين إلى الحرية، حتى ضجت مكة بما  
يجرى!!!».

«بسيف البحر، أبو جندل بن سهيل بن عمرو  
وقد تنازل له أبو بصير عن إمامة الناس إقرارًا  
بمكانته وفضله.. تتحرك قريحة أبي جندل  
فيسبك شعرًا تطير بروايته الركبان..».

: (منشدًا)

أبو جندل

أنا بذى المروة بالساحل	أبلغ قريشًا عن أبي جندل
بالبيض فيها والقنا الذليل	فى معشر تخفق راياتهم
من بعد إسلامهم الواصل	يأبون أن تبقى لهم رُفقة
والحق لا يُغلب بالباطل	أو يجعل الله لهم مخرجًا
أو يُقتل المرء ولم يأتل	فيسلم المرء بإسلامه

\*\*\*

«مكة - منندى قريش بظاهر الكعبة وقد  
اجتمع رؤوس قريش يتداولون فيما يجرى..  
ركبتهم الهواجس، ونهبهم القلق، واشتد بهم  
الكرب.. يتساءلون فى حيرة ما هذه القوة التى  
تتجسد فى هؤلاء الضعفاء بمجرد أن يسلموا؟!..  
إن هؤلاء اللائذين بسيف البحر من الضعفاء، لا  
قوة ولا عزوة لهم، ومحمد بن عبد الله قد أوفى  
بوعده وعهده، فلم يقبلهم بالمدينة، ولم يمددهم  
بمدد، ولم يساعدهم بشيء، فمن أين لهم هذه  
القوة التى أقضوا بها مضاجعهم وهددوا قوافلهم،  
وملأوا بالخوف أيامهم ولياليهم؟!.. ما هذا

السر العجيب فى الإسلام الذى يحيل هؤلاء

المساكين والضعفاء إلى أشاوس ومغاوير؟!!!».

قرشى : يا أبا سفيان، ألا من رأى تشير به علينا، أو أمر نصنعه

يكف عنا هذا الخطر الذى يهدد غيرنا وتجارتنا؟

: ما على هذا صالحنا محمدًا!!

قرشى آخر

: (بتعقل) ما لنا ومحمد؟! إن محمداً برىء من هذا!

ثالث

: صدقت.. هذه أفاعيل أبى بصير وأبى جندل ومن معهما!

رابع

: ألم يكن أفضل لنا أن يلحق هؤلاء بمحمد، بدلاً مما ينفلتون

الأول

فيه ويهددون به تجارتنا، لا يقيدهم العهد الذى قطعه لنا

محمد يوم الحديبية؟!

: (مستطلعاً فى تردد) أنكاتب محمدًا؟!

أبو سفيان

: (متلقين) أجل.

القرشيون

: لا حاجة لنا بهؤلاء الذين أسلموا، لو آواهم محمد لكان آمن

قرشى

لنا!

: إذن نكتب إليه نعلمه بأنه لا حاجة لنا بهم، ونسأله

أبو سفيان

بأرحامنا أن يؤويهم..

: (مضيفاً) زد على ذلك يا أبا سفيان.

قرشى

: فماذا تريد أن أزيد..

أبو سفيان

: قل لمحمد: «من خرج لنا إليك فأمسكه غير حرج أنت فيه،

القرشى

فإن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا باباً لا يصلح إقراره..»

«يتصايح القرشيون موافقين مصادقين..».

\*\*\*

«المسجد النبوى بالمدينة، النبى ﷺ وسط

صحابته من الأنصار والمهاجرين، وقد انصرف

لتوه مبعوث قريش بكتاب أبي سفيان الذى  
تطلب فيه قريش الرجوع عن شرط الحديبية،  
وتستحلف الرسول عليه السلام بالأرحام أن يقبل  
هؤلاء الركبان بالمدينة، وأن يلزمهم بالأمان الذى  
عقده ويعطيه - النبي ﷺ يشاور صحابته، ثم  
ينادى أحد الأنصار..».

الأنصارى : لبيك يا رسول الله..

«النبي عليه السلام يأمره ليكتب إلى أبى بصير  
وأبى جندل.. يتهياً الأنصارى للكتابة مترقباً ما  
سوف يمليه الرحمة المهداة..».

\*\*\*

«بسيف البحر، وأبو بصير يحتضر وسط رفاقه  
وفيهم أبو جندل.. يصل الأنصارى بكتاب رسول  
الله ﷺ.. يفضه أبو جندل، ويناوله لأبى بصير  
ليقرأه..».

أبو بصير : (لأبى جندل وهو يغالب سكرات الموت) إن رسول الله يأمرنا  
أن نقدم عليه، وأن نأمر من اتبعنا من المسلمين أن يلحقوا  
بالمدينة أو يرجعوا إلى بلادهم وأهلهم، وألا يعترضوا لأحد  
يمر بهم من قريش وعيراتهم..  
المسلمون : نسمع لرسول الله ونطيع..

«تشتد خفقات أبى بصير، وتصعد روحه إلى  
بارئها وكتاب رسول الله لا يزال فى يده.. تنثال  
العبرات ويتشهد ويترحم عليه الحاضرون».

أبو جندل : (لأصحابه وقد تغشاه الحزن) ندفنه يرحمه الله حيث مات ،  
ونجعل عند قبره مسجداً يهتدى إليه الناس فى هجير  
الصحراء..

المسلمون : نفعل إن شاء الله..

«المسلمون يسترجعون ويكبرون وبتهيأون  
لوداع الراحل وتغييبه فى القبر الذى اختارت  
موضعه عناية السماء!!».

\*\*\*

«المدينة، لا يكاد المسلمون يرتاحون أياً ما  
قليلات من رحلة الحديدية، إلا وتحمل الأنباء  
الآتية من الحبشة صفحات من الأحران.. قد طال  
الفراق بالباقيين هناك من المهاجرين، وتحرق  
منهم وإليهم الأشواق.. هناك فيمن هاجرن:  
أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان بن صخر بن  
حرب بن أمية ولكنها لم تهاجر بمفردها.. وإنما  
خرجت رفقة زوجها عبيد الله بن جحش، ابن  
عمة رسول الله.. يومها خالفت أباه وأمه  
صفية بنت أبى العاص الأموية، وأسلمت مع  
زوجها عبيد الله والد حبيبة وهاجرت معه عبر  
البحر إلى الأرض الغربية حيث يكرم النجاشي  
النصراني لقاء ومعاملة المسلمين.. طال بهما  
الأيام، وكانت خليقة بأن تحتملها وهى فى  
كنف زوجها الذى هاجرت معه.. ولكن ها هى  
الأخبار تأتي بأنه شرد وجنح وأخذ يعاقر الخمر

لا يتركها ولا تتركه، ثم ارتد عن دينه وأخذ يحاول أن يرد زوجته أم حبيبة عن الإسلام، فأبت واستعصمت.. لم تملك إلا الاغتراب عنه بأشجانها، فلم تعد تحل له بعد أن ارتد عن الإسلام.. تضى الأيام بها وحيدة معتزلة مع صغيرتها حبيبة فى الحبشة، بينما طوت الخمر عمر زوجها كما طواه سكره وساقته إلى ما فيه من جنوح حتى مات صريعاً لها!!».

«ماذا عسى رملة أن تفعل وهى وحيدة معتزلة بابنتها حبيبة فى أرض غريبة!!».

\*\*\*

«الحبشة.. أم حبيبة: رملة بنت أبى سفيان.. حزينه وحيدة بدارها، لا تشعر إلا بجارية للنجاشى تُدعى «أبرهة» تستأذن عليها..».

أبرهة	: إن الملك يقول لك: وكلى من يزوجك من نبي العرب..
أم حبيبة	: (تردد غير مصدقة) رسول الله؟!
أبرهة	: قد أرسل إليه ليخطبك له..
أم حبيبة	: ما تقولين؟!
أبرهة	: يقول لك الملك: وكلى من يزوجك من نبي العرب، فقد أرسل إليه ليخطبك له!..
أم حبيبة	: (تردد مذهولة) ما أبره وأكرمه!

«أم حبيبة تغمرها الفرحة، تخلع سوارين من فضة من معصمها وتقدمهما إلى «أبرهة» حلاوة البشرى.. تنصرف «أبرهة» عائدة إلى

النجاشى، بينما ترسل أم حبيبة فى طلب خالد  
ابن سعيد بن العاص بن أمية، كبير المهاجرين  
من قومها..».

\*\*\*

«مجلس النجاشى بمقره.. وقد التأم إليه  
المهاجرون يتقدمهم جعفر بن أبى طالب وخالد  
ابن سعيد وكيل رملة..»

النجاشى : (للمهاجرين) إن محمداً بن عبد الله كتب لى أن أزوجه أم  
حبيبة رملة بنت أبى سفيان.. (يستأنف) فمن أولاكم بها؟  
المهاجرون : (يشيرون إلى خالد بن سعيد) خالد بن سعيد بن العاص..  
قد وكلته عنها.

النجاشى : (لخالد بن سعيد) زوجها من نبيكم، وقد أصدقتهما عنه  
أربعمائة دينار..

خالد بن سعيد : وقد أجبته إلى ما دعا إليه رسول الله، وزوجته أم حبيبة..  
«تشيع المسرات بين الحاضرين، ويأمر  
النجاشى فيولم لهم احتفالاً بما تم على يديه..».

\*\*\*

«أم حبيبة بدارها، وقد أرسلت فى طلب  
«أبرهة» جارية النجاشى.. تدخل عليها  
أبرهة..».

أبرهة : (مبادرة) هذه هدايا نساء الملك إليك: من عود وعنبر  
وطيب.

أم حبيبة

: طبت وطابوا وطابت هداياهم.. (تستأنف) أعطيتك بالأمس  
ما أعطيتك ولا مال بيدي، ولكن ها قد أتاني، (وهي تمد  
يدها بصرة) فهذه خمسون مثقالاً فخذها فاستعيني بها..  
: (وهي ترد الصرة في رفق) عزم على الملك إلا أرزأك شيئاً..  
«أبرهة تخرج السوارين فتردهما شاكراً إلى أم  
حبيبة..».

أبرهة

(تستأنف) إن الملك قد أجزل لي العطاء، وأمرني ألا آخذ  
منك شيئاً..

: أما لك من حاجة؟

أم حبيبة

: حاجتي أن تقرئي مني السلام إلى رسول الله..

أبرهة

«تنصرف.. وعلى محيا أم حبيبة ابتسامه  
راضية..».



«المسجد النبوي بالمدينة، ذو الحجة من  
السنة السادسة للهجرة.. النبي ﷺ في صحابته  
من المهاجرين والأنصار، وقد استقر عزمه أن  
يرسل بدعوة الإسلام إلى الأمراء والملوك حول شبه  
الجزيرة العربية.. يدعو عليه السلام إليه حاطب  
ابن أبي بلتعنة من لخم، يريد أن يرسل به إلى  
المقوقس عظيم القبط في مصر، وشجاع بن وهب  
من بني أسد، يريد أن يبعثه إلى الحارث بن أبي  
شمر الغساني، ودحية بن خليفة الكلبي، ليوفده  
إلى قيصر الروم، وسليط بن عمرو العامري بن

لؤى لينتدبه إلى هُوذة بن على الحنفى صاحب  
 اليمامة، وعبد الله بن حذافة السهمى،  
 ليحمل رسالته إلى كسرى، وعمرو بن أمية  
 النضرى ليرسله إلى النجاشى بالحبيشة... النبى -  
 عليه السلام - يفضى إلى الصحابة وإلى المختارين  
 بما يزمع ويريد، ثم يغادرهم إلى داره تاركًا إياهم  
 يديرون بينهم ما يعن لهم من حديث...».

\*\*\*

«المسجد النبوى فى الغداة.. يدخل النبى ﷺ

إلى صحابته فيبأدرهم...».

النبى : (للصحابه) إنى بعثت رحمة وكافة، فأدوا عنى يرحمكم  
 الله، ولا تختلفوا علىّ كاختلاف الحواريين على عيسى  
 ابن مريم..

الصحابة : يا رسول الله، وكيف كان اختلافهم؟

النبى : دعا إلى مثل ما دعوتكم إليه، فأما من قرب به فأحب  
 وسلم، وأما من بعد به فكره وأبى..

«المسلمون حائرون، لا يعرفون إلام يرمى

الرحمة المهداة!...».

«بعد أيام.. المسجد النبوى بالمدينة، وقد التأم

جمع رسل رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء

ورؤساء العشائر بعد أن تجهزوا بزادهم وأعدوا

رواحلهم.. يجتمعون بالرحمة المهداة ليتلقوا

كتبه وتعليماته إلى حيث أوفدهم.. النبى - عليه

السلام - يدعو إليه عبد الله بن حذافة السهمي..

مبعوثه إلى كسرى بفارس..».

عبد الله بن حذافة السهمي: لبيك يا رسول الله..

النبي

: (يملى على أحد شبان الأنصار) بسم الله الرحمن الرحيم،

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من

اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله،

وأنى رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حياً، أسلم

تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس..

«النبي - عليه السلام - يعطى الكتاب إلى

عبد الله بن حذافة، ويدعو إليه عمرو بن أمية

الضمري مبعوثه إلى النجاشي بالحبشة..».

عمرو بن أمية الضمري: لبيك يا رسول الله..

النبي

: (يملى على الشاب الأنصاري) بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة،

سلم أنت، فإنى أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن

المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته،

ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى،

فخلق الله ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وإنى أدعوك

إلى الله وحده لا شريك له، والموالاتة على طاعته، وأن

تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى، فإنى رسول الله، وإنى

أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت،

فاقبلوا نصحى، والسلام على من اتبع الهدى.

«النبي عليه السلام يناول كتابه إلى عمرو

ابن أمية الضمري، ويدعو إليه دحية بن خليفة

الكلبي مبعوثه إلى هرقل..».

دحية بن خليفة الكلبي : لبيك يا رسول الله..

النبي : (يملى على الشاب الأنصارى) بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من  
اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم  
تسلم يؤتك الله أجره مرتين. فإن توليت فإنما عليك إثم  
الأريسيين (أو الأكارين أى إثم الرعية). ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ  
تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَمْ إِلَّا تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا  
تُشْرِكُوا بِهِ، شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ  
تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران :  
آية : ٦٤]

«النبي - عليه السلام - يناول الكتاب إلى

دحية بن خليفة الكلبي، ويدعو إليه شجاع بن  
وهب مبعوثه إلى الغساسنة وأميرهم المنذر بن  
الحارث بن أبي شمر الغساني...».

شجاع بن وهب : لبيك يا رسول الله..

النبي : (يملى على الشاب الأنصارى) بسم الله الرحمن الرحيم. من

محمد رسول الله إلى المنذر بن الحارث الغساني. سلام على  
من اتبع الهدى، وآمن بالله وصدق. وإنى أدعوك إلى أن  
تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك.

«النبي - عليه السلام - يناول الكتاب إلى

شجاع بن وهب، ويدعو إليه حاطب بن أبي  
بلتعة مبعوثه إلى المقوقس عظيم القبط في مصر...».

حاطب بن أبي بلتعة : لبيك يا رسول الله..

: (يملى على الشاب الأنصارى) بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام: أسلم تسلم يؤتك الله أجرک مرتين، فإن توليت فعليك إثم القبط.. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

«النبي - عليه السلام - يناول الكتاب إلى حاطب، ويدعو إليه سليط بن عمرو العامرى، مبعوثه إلى هوزة بن على - زعيم بنى حنيفة باليمامة..».

سليط بن عمرو العامرى: لبيك يا رسول الله..

: (يملى على الشاب الأنصارى) بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى هوزة بن على الحنفى. سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر (سيعم العالم) فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يدك..

«النبي - عليه السلام - يناول الكتاب إلى سليط العامرى، ويدعو عليه السلام باقى مبعوثيه إلى القبائل فى الشمال والجنوب، فيملى عليه السلام إلى كل منهم كتابه.. بينما يتهيا المبعوثون للخروج لإنفاذ أمر رسول الله وإبلاغ كتبه إلى حيث أراد..».

\*\*\*

«المدينة، وقد أخذ المنافقون يدسون للأنصار أن أمر الإسلام قد انتشر حتى ذهب كتهبه إلى بقاع الأرض، ولم يعد بالإسلام حاجة إلى نصر.. يقولون للأنصار محرضين إياهم على إمساك أموالهم: إن أموالكم قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام فلا حاجة به إلى إنفاقكم!!..»  
 تخيل الخدعة على البعض فيقولون لأنفسهم: «لو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ماضع منها؟! قد أعز الله الإسلام وكثر ناصروه!!».

«النبي - عليه السلام - في خلوته يتعبد ويتهدج ويناجي ربه، يتنزل عليه الروح الأمين فيوحى إليه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة البقرة: آية: ١٩٥]  
 (يرتفع الوحي)

\*\*\*